التحول الفكري للأمير شكيب أرسلان من النزعة العثمانية إلى النزعة العربية

م.م نغم خليل إبراهيم
الجامعة العراقية / كلية التربية
naghm.k.ibrahim@aliraqia.edu.iq

مستخلص:

يعد شكيب أرسلان من أبرز المفكرين العرب في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وقد لقب بـ «أمير البيان» نظراً لجزارة مؤلفاته ولبلاغته وقوة حجته في الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية والعربية، نشأ في بيئة مثقفة تأثر فيها بالتيارات الفكرية والسياسية التي اجتاحت العالم الإسلامي والعربي آنذاك، خاصة مع تصاعد الحركات الاستعمارية وسقوط العديد من البلدان العربية تحت السيطرة الأوروبية. تميز أرسلان بموقفه الفريد الذي جمع فيه بين الدفاع عن الدولة العثمانية التي عدها رمزا لوحدة المسلمين، وبين الدعوة إلى القومية العربية التي لم يرى فيها تعارضاً مع الولاء للخلافة العثمانية، بل عدها جزءاً من مشروع إصلاحية شامل يهدف إلى إحياء الأمة وإنقاذها من التبعية والانقسام.

الكلمات المفتاحية: شكيب أرسلان، الدولة العثمانية، جمعية الاتحاد والترقي، القومية العربية، الوحدة العربية.

The intellectual transformation of prince Shakib Arslan from Ottomanism to Arabism

Naghm Khaleel Ibrahim Alwan
Al-iraqia University / College of Education
naghm.k.ibrahim@aliraqia.edu.iq

Abstract:

Shakib Arslan was one of the most prominent Arab intellectuals in the late 19th and early 20th centuries. Known as the "Prince of Eloquence" (Amīr al-Bayān) for his rhetorical brilliance and compelling arguments, he dedicated himself to defending the causes of the Islamic and Arab world. Raised in an intellectual environment, he was deeply influenced by the political and ideological currents sweeping the Muslim and Arab regions, particularly amid rising colonialism and the fall of many Islamic lands under European domination. Arslan adopted a unique stance, balancing his defense of the Ottoman Empire—which he saw as a symbol of Arab unity—with his advocacy for Arab nationalism. He viewed Arab nationalism not as contradictory to loyalty to the Ottoman Caliphate but as part of a broader reformist project aimed at reviving the Muslim Ummah and rescuing it from subjugation and fragmentation.

Keywords: Shakib Arslan, Ottoman Empire, Committee of Union and Progress, Arab nationalism, Arab unity.

المقدمة

شكيب أرسلان، اسم ملاً عصره في كل مكان، فهو السياسي والمفكر والكاتب والصحفي والرحالة والخطيب والمؤرخ والمجاهد في سبيل وحدة الإسلام والعرب، هو رجل صنع الاستثناء بسبب أفكاره ومواقفه التي أثارت حوله جدلاً منقطع النظير، فاستحق لقب «أمير البيان» بكل جدارة. كان لشكيب أرسلان دور مهم في نشر الوعي الفكري والسياسي أبان الحكم العثماني والمدة التي تلت انتهاءه حتى وفاته عام 1946، إذ شهد شكيب أرسلان حقبة زمنية تميزت بالتطورات السياسية الكبرى، فشهد الصراعات الدولية في بداية القرن العشرين التي كانت تهدف إلى اقتسام أملاك الدولة العثمانية فقام بدور بارز في المحافظة على وحدة الدولة العثمانية وعارض الحركات الداعية للإنفصال عنها، وقام بدور مهم في إثارة الحركات الوطنية في البلاد العربية والإسلامية. إلى جانب مواقفه السياسية تبنى قضايا فكرية متنوعة بين ما هو عربي وما هو إسلامي، ونظراً لأهمية هذه المواقف حاول هذا البحث تسليط الضوء عليها، فقد تناول المبحث الأول نشأة الأمير شكيب أرسلان ونسبه كما وضع أثر المفكرين السياسيين في فكره، وببحث المبحث الثاني دفاع الأمير شكيب أرسلان المستمر عن وحدة الدولة العثمانية ورفضه للحركات الانفصالية عنها، ودرس المبحث الثالث القضايا العربية العامة في فكر الأمير شكيب أرسلان ومنها القومية العربية والوحدة العربية، وتأثيره في نشر هذه الأفكار بين أبناء الوطن العربي.

المبحث الأول: النشأة والتأثير الفكري

أولاً: المولد والنشأة

وُلد الأمير شكيب أرسلان بن حمود بن يونس بن فخر الدين بن أرسلان بن المنذر بن النعمان في بلدة الشويقات في الخامس والعشرين من كانون الأول 1869، كان والده درزياً، ومما يلفت الانتباه، أن والد شكيب تزوج من امرأة شركسية سنية المذهب، وكذلك فعل شكيب فزوجته هي سُليمة بنت الخاص بيك حاتوغو⁽¹⁾، وبذلك يكونان قد خالفا التقليد الدرزي الذي يعد الزواج من سنية أمراً مرفوضاً مما يؤكد على أن أرسلان تحول إلى المذهب السني في وقت مبكر فأثر هذا التحول تأثيراً كبيراً على فكره الإسلامي الذي لازمه طوال حياته، وقد أكدت زوجته هذه الحقيقة باعترافها «إن الدرود يجرمون الزواج من سنية، ولكن زوجي تزوجني وأنا سنية مسلمة»⁽²⁾، وأولاده فهم غالب ومي (زوجة الزعيم كمال جنبلاط وابنها وليد جنبلاط) ثم ابنته الصغرى ناظمة⁽³⁾.

كان والده حريصاً على أن يعلم أبناءه اللغة العربية والقرآن الكريم ومبادئ الإسلام. فحفظ شكيب القرآن في سني عمره الأولى، ودرس اللغتين التركية والفرنسية في المدرسة السلطانية في بيروت⁽⁴⁾.

(1) احمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ج 1، دار الكتاب العربي، مصر، 1963، ص 125-126.

(2) نقلاً عن: أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان حياته وأدبه، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1962، ص 44.

(3) احمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ص 127.

(4) بركات أمين يوسف الجرادات، ديوان الأمير شكيب أرسلان دراسة أسلوية، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الآداب - جامعة القدس، 2018، ص 6.

له «إني أهنئ أرض الإسلام التي أنبتك»⁽⁴⁾. ومن هنا بدأت مظاهر تأثر شكيب بالأفغاني وانخرط بعد لقائه به بالعمل السياسي، وسار على خطى الأفغاني ومحمد عبده، وبرز هذا التأثير من خلال دعوته للإصلاح الديني والرد على المستشرقين الذين هاجموا الإسلام، ونادى بعدم فصل الدين عن الدولة إلا من الناحية الإدارية، وآمن بدعوة الأفغاني بفكرة الجامعة الإسلامية لتكون الوسيلة الفعالة للحفاظ على الدولة العثمانية والتصدي للأخطار الاستعمارية⁽⁵⁾.

ثالثاً: وظائفه وآثاره:

تقلد شكيب عدة مناصب حكومية كان أولها إدارة مديرية الشويفات فقد تم تعيينه مديراً لبلدة الشويفات عام 1887 لكنه سرعان ما استقال منها مبرراً ذلك بقوله «... فبقيت في تلك المأمورية أكثر من ستين ثم وجدت في الجبل [جبل لبنان] المجال ضيقاً وأنا كنت طامحاً إلى ما هو أعلى وأوسع...»⁽⁶⁾، تقلد شكيب مجدداً مناصب في الدولة من بينها قائم مقام الشوف عام 1902 غير أنه لم يبقى في منصبه لمدة طويلة بسبب سوء الإدارة المحلية، ليعود مرة أخرى إلى الإدارة العثمانية بعد أن انتخب نائباً في مجلس المبعوثان عن سنجق حوران في دورته الأولى

(4) نقلاً عن: أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963، ص 260.
(5) محمد سالم أحمد عمارة، شكيب أرسلان - 1869-1946 دراسة في فكره السياسي، أطروحة دكتوراه «غير منشورة»، كلية الدراسات العليا - الجامعة الأردنية، 2000، ص 11.

(6) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ط 1، إشراف وتحرير سوسن النجار نصر، الدار التقدمية، لبنان، 2008، ص 44.

ثانياً: أثر المفكرين في فكر شكيب أرسلان

تأثر شكيب أرسلان بالعلماء والقادة الذين عاشهم، واخذ عنهم ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده، والشيخ جمال الدين الأفغاني، فقد أعجب شكيب أرسلان في حادثة سنة بالإمام الشيخ محمد عبده وكان يسمع عنه ويقرأ له في الصحف والمجلات قبل قدومه إلى بيروت، وبدأت علاقته المباشرة بالشيخ عندما كان الأخير منفياً إلى بيروت على أثر ثورة عام 1882، وبذلك بدأ أول عهد شكيب بالفكر والسياسة، فلزمه واستفاد من علمه⁽¹⁾، وتأثر بفكره الإسلامي الداعي إلى النهوض بالأمة الإسلامية عن طريق فهم العقيدة الإسلامية فهماً صحيحاً، لأنها الوسيلة الفضلى للتصدي للقوى الاستعمارية الطامعة في أملاك الدولة العثمانية⁽²⁾، وأصبح اتجاه شكيب أرسلان في المحافظة على الدولة العثمانية امتداداً لاتجاه أستاذه محمد عبده الذي كان يعتقد بأن «المحافظة على الدولة العثمانية هو الركن الثالث من أركان العقيدة بعد الأيمان بالله ورسوله، فإن هذه الفكرة الوحيدة المحافظة لسلطان الدين»⁽³⁾.

وفي أواخر عام 1892 التقى شكيب أرسلان بالسيد جمال الدين الأفغاني ودرس على يده الأدب والمنطق والتوحيد والفلسفة وأصول الفقه وعلم التصوف وأعجب الأفغاني بنباهة فكره وقال

(1) شكيب أرسلان، كلمتان في الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا، المنار «مجلة»، العدد 8، ج 8، ص 31 كانون الأول 1933، ص 635.

(2) شكيب أرسلان، شوقي أو صداقة أربعين سنة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1936، ص 104.

(3) Ömer Aslan, Emir Şekib Arslan'ın Kişiliği Işığında İttihat VE Terakki'nin İslamcı Siyaseti, Genel Türk Tarihi Araştırmaları Dergisi, Cilt 1, syi. 2, (Temmuz 2019), S 252.

المبحث الثاني:

شكيب أرسلان والدولة العثمانية

أولاً: موقفه من العهد الحميدي

لم يكن لدى شكيب أرسلان في بداية حياته أي ميول للسياسة فقد كان عالمه الخاص يصب في منحى واحد وهو الفكر والإصلاح ويصبوا إلى أن يسلك نهج أستاذه الشيخ محمد عبده في الإصلاح، ويطمح لإنشاء جريدة عربية يخلد بها اسمه وينشر فيها مقالاته المتنوعة، غير أن الأقدار ساقته إلى الحياة السياسية وخاصة بعد توليه إدارة ناحية الشويفات وتعرفه على محمد عبده.

وفي الوقت الذي ظهرت فيه بعض التيارات السياسية والفكرية التي تنادي بالانفصال عن الدولة العثمانية كان شكيب أرسلان من القلة الذين جاهروا بحبهم ودعمهم للخلافة العثمانية، حتى قيل عنه «إن شكيب أرسلان كان يرغب في أن يكون عثمانياً أكثر من أبناء عثمان أنفسهم»⁽⁷⁾، لذلك تبنى فكرة الجامعة الإسلامية، ودعا إلى تأييد السلطان عبد الحميد الثاني واسترسل في مدحه في قصائد عدة ضمها ديوانه ومن بينها:

فحبك ذا شرعي وعرفي ومذهبي

ومدحك ذا فرضي ووترني وواجبي⁽⁸⁾

فخلق لنفسه خصوما ومشككين استنكروا عليه مشايعته لعبد الحميد، إلا أن موقفه لم يكن تزلقا أو وسيلة لنيل المطامح الشخصية، بل كان هدفه الأسمى وحدة الأمة الإسلامية في ظل دولة الخلافة وقطع الطريق أمام القوى الاستعمارية التي كانت

(7) نقلا عن: احمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص 72.

(8) نقلا عن: شكيب أرسلان، ديوان الأمير شكيب أرسلان، مطبعة المنار، القاهرة، 1935، ص 92.

عام 1908 والثانية عام 1912⁽¹⁾. وبذلك دخل عالم السياسة من أوسع أبوابه.

إلى جانب هذه الوظائف نشط الأمير خلال الفترة الممتدة من 1924 إلى 1946، في عدة مجالات سياسية وثقافية تخص القضايا العربية والانتداب الفرنسي والانكليزي على سوريا وفلسطين من بين تلك النشاطات مشاركته في المؤتمر السوري الفلسطيني المنعقد في جنيف عام 1921 بالإضافة إلى مؤتمرات دولية أخرى⁽²⁾.

وتجدر الإشارة بأنه قد تم تعيين الأمير رئيساً للمجمع العلمي بدمشق عام 1939، غير أن السلطات الفرنسية رفضت منحه تأشيرة الدخول، ومنعته من ممارسة عمله رئيساً للمجمع⁽³⁾.

ومن إصدارته ومؤلفاته الغزيرة التي أصدرها على مدار ثمانين عاماً التي عاشها، والتي بسبب غزارتها لقب بـ «أمير البيان»⁽⁴⁾، فقد تباينت بين مقالات في الصحف والمجلات وبين كتب ألفها في الفكر والسياسة والتاريخ والاجتماع، وبين كتب ترجمها إلى العربية، فضلاً ديوانه⁽⁵⁾. كما أصدر جريدة «لواء الإسلام» في برلين عام 1921، وأصدر «مجلة العربية» في جنيف بين العامين 1930 و 1932⁽⁶⁾.

(1) المصدر نفسه، ص 116.

(2) قاسم بن خلف الرويس، سوانح افكار لامير البيان شكيب أرسلان مع موجز من سيرته، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2014، ص 167.

(3) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص 14.

(4) احمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ص 232.

(5) للإطلاع على مؤلفاته ينظر: احمد الشرباصي، داعية العروبة والإسلام، ص 372-374.

(6) بركات أمين يوسف الجرادات، المصدر السابق، ص 7.

أراد تلافياً للشرق في عثراته

فألقي عليه من عنايته ستراً⁽⁴⁾

وهو الذي كان يعذر السلطان عبد الحميد الثاني في تأخير إعلان الدستور العثماني حيث قال «خوفاً من تفكير أجزاء السلطنة وفراراً من صدع الوحدة العثمانية، لأنه في ظل الحرية لا يمكن منع النزعات القومية التي هي كامنة في صدور هذه الأمم المختلفة التي لا يجمعها سوى رهبة الدولة»⁽⁵⁾.

ثانياً: موقفه من جمعية الاتحاد والترقي 1908 -

1914

رفعت جمعية الاتحاد والترقي في بداية عهدها شعارات الحرية، والعدالة، والمساواة بين رعايا الدولة دون أي اعتبار للدين أو العرق، إلا أن الصدمات توالى على حكومة الاتحاديين بحيث استغلت إيطاليا انشغال الحكومة بأمرها الداخلية لتقوم بغزو ليبيا في التاسع عشر من أيلول 1911 مدعية أن الدولة العثمانية مهملة لهذا البلد، وهي تريد أن تفتح أبواب هذه البلاد للمدينة الغربية. هذا من جهة ومن جهة أخرى فأنها تريد المحافظة على مصالح الإيطاليين هناك، والمؤكد أن الاتحاديين كانوا يهملون شؤون ولايتي طرابلس الغرب وبنغازي، وإن حكومتهم قامت بتجريد البلاد من الجند والسلاح وسحبت الجيش لقمع الثورات في ألبانيا واليمن⁽⁶⁾، وسرعان ما تمكنت من غزو مدن

(4) شكيب أرسلان، ديوان الأمير شكيب أرسلان، ص 101.

(5) نقلاً عن: ابتسام محمد العامري، الفكر القومي عند المفكر شكيب أرسلان، مجلة همورابي للدراسات «مجلة»، العدد 43، السنة 11، 2022، ص 451-450..

(6) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني 1914-1908، دار الهدى، القاهرة، 1960، ص

تحريك المؤامرات، وفي هذا السياق قال عن مدحه للسلطان «إنما هو للمقام لا للمقيم وإن المقام هو رمز الأمة وعنوان الملة»⁽¹⁾، فبالرغم من الإجراءات التي اتبعتها عبد الحميد القائمة على أساس كبت الحريات وتشديد المركزية ووزع الجواسيس إلا أن شكيب التمس له الأعداء فالسلطان الذي اعتلى العرش خلفاً لسلطانيين مخلوعين أمامه دول استعمارية كشرت عن أنيابها وفئة تفكر في الانفصال لم يجد من حل سوى إحكام القبضة على السلطة وتشديد الرقابة على ولاياتها المتبقية⁽²⁾.

ولما أعاد السلطان عبد الحميد الثاني العمل بالدستور العثماني عام 1908 رحب شكيب بهذا الإصلاح، وعبر عن فرحه بإصدار الدستور قائلاً «... فأذكر أنه لما جاء الخبر بأن السلطان أعلن الحكم الدستوري في المملكة شعرت بفرح لا يوصف، ولبثت ليليتين لا أرقد إلا غراراً من شدة الفرح. ولقد كانت هذه المسألة أشبه بالفرح بعد الضيق...»⁽³⁾، وعد ذلك بداية لعهد جديد يساعد على وحدة الدولة ونعمة من الله للشعوب العثمانية ومدح ذلك قائلاً:

ألا يا بني عثمان جبكم بشري

لقد جاء رب العرش بالنعمة الكبرى

(1) نقلاً عن: شكيب أرسلان، شوقي أو صداقة أربعين سنة، ص 24-25.

(2) تبرع السلطان عبد الحميد الثاني على العرش بعد خلع شقيقه السلطان مراد الخامس، وقبله تم اغتيال عمه السلطان عبد العزيز. ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1960، ص 99.

(3) شكيب أرسلان، البيان عما شهدت بالعيان وعمن شاهدت من الأعيان من إعلان الدستور العثماني إلى الآن، إشراف وتحرير سوسن النجار نصر، ط 1، الدار التقديمية، لبنان، 2008، ص 15.

عديدة في ليبيا. «الشام..»⁽⁴⁾، وكان يؤكد من خلال المقالات التي يكتبها على الوطنية العثمانية وأنه من واجب جميع المسلمين الوقوف ضد الاحتلال الإيطالي الذي عدّه غزوا صليبياً فكتب «أدعوا الله، يا عثماني المملكة المحروسة، من أجل بقائكم المستمر في هذا العالم، ومن أجل إزالة نير العبودية عن أعناقكم... ادعوا الله، يا أبناء المشرق، من أجل الحفاظ على هذه الدولة الواحدة التي لا يجب أن تزول... ادعوا الله، يا مسلمي جميع أقاليم الخلافة، من أجل بقاء شعلة الإسلام حية، فلن يبقى إلا التضحية إلى الأبد»⁽⁵⁾.

ولم يكتف بالقول بل اشترك بالجهاد برفقة مجموعة من المتطوعين العرب بقيادة أنور باشا⁽⁶⁾.

(4) نقلا عن: المصدر نفسه، ص 77.

(5) Quoted in: William L. Cleveland, Islam Against The West Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism, First Edition, University of Texas Press, U.S.A, 1985, p 20.

(6) ضابط وسياسي عثماني، وأحد قادة جمعية الاتحاد والترقي، ولد في إسطنبول عام 1881، تخرج من المدرسة العسكرية عام 1903 ليعين ضابطاً في الجيش الثالث في سلانيك، ساهم بشكل كبير في استعادة دستور 1876، وشغل منصب الملحق العسكري في برلين، وكان أحد ضباط الجيش في حملة طرابلس ضد الإيطاليين في 1911، وفي عام 1913 قاد انقلاباً ضد الحزب الليبرالي وشكل مع طلعت باشا وجمال باشا قيادة ثلاثية ذات نزعة قومية طورانية حكمت الدولة العثمانية إلى آخر الحرب العالمية الأولى، عين بعدها وزيراً للحربية، وفي عام 1914 نال لقب الداماد بعد زواجه من حفيدة السلطان محمد رشاد، وأدى دوراً بارزاً في دخول الدولة العثمانية إلى جانب دول الوسط، وعلى أثر هزيمة الدولة في الحرب هرب إلى روسيا وأنضم إلى البلاشفة وقاد ثورة مع المسلمين ضد الروس وقتل في طاجكستان على يد الجيش الأحمر في الرابع من آب 1922.

Glen W. Swanson, Enver Pasha The Formative

استنكر شكيب بشدة العدوان الإيطالي على ليبيا وراح يرسل إلى السيد رشيد رضا في مصر ورجال اسطنبول، فقد أرسل برقيات إلى حسين حلمي باشا⁽¹⁾ ومحمود شوكت باشا⁽²⁾ يدعوهم إلى مساندة الليبيين ودعمهم بالمال والعتاد⁽³⁾، قائلاً: «... إن لم نقدر أن نحفظ صحارى ليبيا لم نقدر أن نحفظ جنان

328-329.

(1) رجل دولة عثماني من أصول يونانية، تقلد منصب المفتش العام لولاية مقدونيا بين عامي 1908-1902، ومنصب وزير الداخلية بين عامي 1908-1909، ومنصب الصدر الأعظم لمرتين الأولى في أواخر عهد السلطان عبد الحميد من (14 شباط 1909 إلى 13 نيسان 1909) والثانية في عهد السلطان محمد الخامس من (5 أيار 1909 إلى 12 كانون الثاني 1910)، وتولى منصب سفير الدولة العثمانية في إمبراطورية النمسا-المجر بين عامي 1912-1918.

Ihsan Güneş, Türk Parlamento Tarihi, Cilt.2, Eskişehir, 1995, S 686-687; The Great Powers and The End of The Ottoman Empire, Edited by Marian Kent, Second Edition, Frank Cass, London, 1996, P.216.

(2) ضابط عثماني من أصول شركسية، كان له دور بارز في (جمعية الاتحاد والترقي)، ولد في بغداد عام 1856، وهو ابن سليمان فائق بك متصرف لواء المنتفق، تلقى تعليمه الأولي في بغداد ثم التحق بالكلية العسكرية في إسطنبول وبعد تخرجه منها عام 1882 عمل مدرسا للرياضيات وفن استعمال الأسلحة في المدرسة العسكرية، وعُين والياً على قوصوه عام 1905، وقائدا للجيش الثالث بعد مشاركته في القضاء على حادثة (31 مارس) عام 1909، ثم وزيراً للحربية عام 1910، وصدراً أعظم عام 1913، تعرض للاغتيال بعد ستة أشهر من توليه منصب الصدارة العظمى.

Erik J. Zürcher, Turkey A Modern History, Third Edition, Amsterdam, 1992, P.404.

(3) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص 73.

أثناء هذا الظرف العسير كانت دول البلقان تحظر مفاجأة أذهلت الجميع فهي بكل جرأة تعلن الحرب على الدولة العثمانية في تشرين الأول عام 1912⁽³⁾، شجعهم انشغالها بالحرب الطرابلسية على ذلك، فقررت حكومة اسطنبول عقد صلح أوشي⁽⁴⁾ مع إيطاليا وتسليمها طرابلس الغرب للتفرغ لحرب البلقان. كعادته هب شكيب لنصرة الدولة في البلقان بعد أن استدعي من قبل لجنة الإغاثة ولجنة الهلال الأحمر المصرية ليكون من جملة المفتشين

(3) هي الحرب التي شنتها كل من بلغاريا والصرب واليونان والجبل الأسود على الدولة العثمانية في الثامن من تشرين الأول 1912، وحاولت الدول العظمى أن تضع حدا لها من خلال معاهدة لندن التي وقعت في الثلاثين من أيار 1913، تنازلت الدولة العثمانية بموجب هذه المعاهدة عن معظم أراضيها في القارة الأوروبية باستثناء تراقيا، وشكلت دولة جديدة باسم (ألبانيا)، رفضت بلغاريا التحكيم الأوربي، وبدأت حرب البلقان الثانية في الخامس والعشرين من حزيران 1913، وانتهت بعقد معاهدة بوخارست في العاشر من آب 1913، وهددت هذه الأزمة بالتسبب في حرب بين إمبراطورية النمسا-المجر وبين روسيا لن تتأخر أن أصبحت حرب عالمية. للمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب وتداعياتها يراجع: آ.ج. ب. تايلور، الصراع على سيادة أوروبا 1848 - 1918، ترجمة فاضل جتكر، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، 2009، ص 666-649.

(4) وقعت بين الدولة العثمانية وإيطاليا في الخامس عشر من تشرين الأول 1912، تنازلت الدولة العثمانية بموجبها عن طرابلس الغرب وبرقة، مع احتفاظ السلطان العثماني بسلطته الروحية فيها بوصفه خليفة للمسلمين، ومن جهتها تعهدت إيطاليا بالجلاء عن جزر الدوديكانيز، بول دومون وفرانسوا جورجو، تاريخ الدولة العثمانية، الجزء 2، إشراف روبرت مانتران، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1992، ص 283.

وطاف بين فلسطين وسوريا يجمع المتطوعين ويرسلهم عبر فلسطين إلى مصر متنكرين بزي البدو إلى ليبيا حيث كان أنور باشا في الجبل المشرف على درنة، ودخل الأمير مصر متخفياً بعد أن رفض الانكليز دخوله الحدود بين رفح والعريش⁽¹⁾. وفي مصر بدأ العمل مع جمعية الهلال الأحمر وجمعية الإغاثة المصرية، ومكث هناك أربعين يوماً كتب خلالها أربعين مقالة افتتاحية في جريدة «المؤيد» للدعوة إلى الجهاد، وفي مصر قابل الخديوي عباس حلمي الذي أراد بقاء الأمير في مصر ومنعه من الذهاب إلى ليبيا، وعرض عليه الدخول في مشاريع سياسية أخرى لكي يثني عن مشروعه الجهادي، بحجة أن الحالة العامة حرجة وأن مستقبل الدولة مظلم وأنه يجب أن يبقى في مصر لاستقبال الطوارئ التي قد تحصل، والحقيقة انه كان يفكر بحركات في بلاد العرب ويريد أن يجمع لها بعض مفكري العرب وزعمائهم، فكان شكيب مخالفا لهذا الرأي قائلاً «إن كل حركة اليوم ضد الدولة العثمانية تلحق بها ضعفا وتزلزل أركانها وتفيد الإفرنج وتضر العرب والترك معا». وكان يرى أن تسليم طرابلس الغرب أو التساهل بها لا يكون سببا لذل المسلمين في طرابلس وأفريقيا واستطالة الأجنبي عليهم فيها بل يكون بداية لانحيار الدولة العثمانية بأجمعها، وفتحة لحروب كل واحدة منها أعظم من التي سبقتها⁽²⁾.

Years, Middle Eastern Studies, Vol.16, No.1, January 1980, P.193-197.

(1) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص 83-79؛ شكيب أرسلان، شوقي او صداقة أربعين سنة، ص 37-34.

(2) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص 75؛ William L. Cleveland, Op.Cit, p 48.

والمراقبين على توزيع الإعانات والبعثات الصحية المصرية⁽¹⁾.

انتقد شكيب الأصوات التي كانت تطالب بإصلاح الإدارة العثمانية وعدت تلك المطالب لا تشكل حلاً ناجعاً لمشكلات الدولة، فسواء أصلحت الإدارة أم لا، فإن دول البلقان عازمة على الانفصال عن الدولة العثمانية، وإن اعتبر مشاكل الدولة العثمانية ناتجة عن سوء الإدارة وانتشار الجواسيس وانعدام الحرية، إنما هي مجرد مظاهر لعوامل أعمق من ذلك، بعضها داخلي يتعلق بانحطاط التعليم وتفشي الجهل وانقسام سكان الدولة والحركات الانفصالية، وبعضها خارجي يتمثل بمطامع الدول الكبرى الاستعمارية⁽²⁾.

وكتب شكيب أرسلان مقالات كثيرة أوضح فيها الجرائم التي ارتكبتها الجيوش البلقانية ضد المسلمين، وأرسل برقية إلى وزير خارجية بريطانيا السر إدوارد غراي Edward Gray استغرب فيها الصمت العالمي إزاء ما يجري على أرض البلقان من مذابح وتشريد المسلمين وتساءل عن موقف بريطانيا لو حصل العكس، والظاهر أن برقية شكيب أثارت اهتمام الخارجية البريطانية، إذ أستدعى مستشار السفارة البريطانية في إسطنبول شكيب وتباحث معه بما تضمنته البرقية، وبناء على طلب الصدر الأعظم كامل باشا⁽³⁾ أرسل شكيب نسخة من البرقية إليه

(1) Ömer Aslan, Aynl eser, S259.

(2) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص 61.

(3) ولد في قبرص عام 1832، انتقل إلى مصر عام 1847 ودرس في المدرسة العسكرية فيها، وفي عام 1851 انتقل إلى إسطنبول شغل عدة وظائف في الدولة العثمانية منها منصب وزير الأوقاف في عام 1881، ومنصب الصدر الأعظم خلال الأعوام (1885-1891) و(1908-1909) و(1912-1913)، توفي في قبرص عام 1913. أكرم جمعة صالح الجبوري، العلاقات

فشكره بعد أن اطلع عليها⁽⁴⁾.

انقسم العثمانيون إلى فريقين الأول يؤيد الصلح والاستجابة لمطالب البلقانيين، والثاني يؤيد استمرار الحرب ورفض مطالب البلقانيين، وكان شكيب أرسلان من ضمن الفريق الثاني مفضلاً الاستمرار في الحرب، لأن ذلك هو الوسيلة الوحيدة التي تحفظ هوية الدولة العثمانية وكرامتها⁽⁵⁾.

أدى فشل الاتحاديين أمام هذه التحديات إلى خلق معارضة ازدادت حدة بعد حرب طرابلس الغرب، فتم الإعداد لانتخابات جديدة في الحكومة، غير أن النصر كان لحليفهم وبدؤوا يميلون أكثر نحو تطبيق المركزية في الحكم، بينما كانت حرب البلقان قائمة بدأت فكرة اللامركزية الإدارية تقتحم مجلس المبعوثان كرد فعل على سلوك الاتحاديين ودخلت منهاج حزب المعارضة⁽⁶⁾ «حزب الحرية والائتلاف»⁽⁷⁾، الذي وصل إلى سدة

العثمانية اليونانية 1908-1922، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الآداب-جامعة الموصل، 2015، ص 42.

(4) شكيب أرسلان، شوقي أو صداقة أربعين سنة، ص 274.

(5) شكيب أرسلان، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص 69.

(6) ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص 107.

(7) تأسس في الثامن من تشرين الأول 1911، انضم إليه بعض أعضاء (جمعية الاتحاد والترقي) بعد استقالتهم منها وفي مقدمتهم اللواء صادق بك معتمد المركز العام للجمعية، كذلك انضم إليه بعض أعضاء الحزب الحر المعتدل الذي سبق وأن تأسس في بداية إعلان الدستور وبعض نواب مجلس المبعوثان المستقلين وبعض النواب العرب والأتراك والأرمن والروم، وقوي الائتلافيون بعد انضمام كامل باشا وحسين حلمي باشا ومحمود مختار باشا من رؤساء الحكومات السابقة، انتشرت

واستبدوا به حتى نهاية الحرب العالمية الأولى⁽⁴⁾، لم تهتز ثقة شكيب بنفسه وبمبادئه الداعية أساساً إلى دعم السلطة مهما كان حالها وحال رجالها، فقد استمر في نضاله الذي يبرز للعيان في تلك المدة، وقام بدور كبير بين جمعية الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف والحرية بغية إيقاف الصراع السياسي بينهما، لأنه سيعود وبالآعلى الدولة العثمانية ككل، تجلّى دوره في تأسيس «الجمعية الخيرية الإسلامية» عام 1913 بمشاركة عدد من الزعماء العرب والأتراك، كما ضمت الجمعية أعضاء من جمعية الاتحاد والترقي وحزب الحرية والائتلاف، وتجدر الإشارة بأنه لم يكن للجمعية التي أسسها شكيب إرسال أي مبادئ أو أهداف سياسية واضحة وإنما كانت محاولة لرأب الصدع بين القوى الفاعلة والمتناحرة في اسطنبول، إلا أنها لم تحقق أهدافها المنشودة بسبب انشغال أعضائها بالحرب البلقانية ثم الحرب العالمية الأولى⁽⁵⁾.

ثالثاً: موقفه من المعارضة والمؤتمر العربي في

باريس 1913

كان من ضمن المبادئ التي سار عليها

البحرية والقائد العسكري في سوريا ولبنان خلال الحرب العالمية الأولى، بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى هرب إلى أوروبا ومنها إلى القوقاز حيث أعتيل هناك على يد أحد الأرمن عام 1922. مواهب معروف سالم الجبوري، جمال باشا حياته ودوره السياسي، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، 2004.

(4) توفيق علي برو، القضية العربية في الحرب العالمية الأولى 1918-1914، ط1، دار طلس، دمشق، 1989، ص

41

(5) ناصر الحكيم، جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان، ط1، الدار التقدمية، لبنان، 2006، ص 49.

الحكم بعد أن أطاح بالأتحاديين في انتخابات عام 1912، وسرعان ما بدأت الانسحابات تتوالى من حزب الاتحاد والترقي وانضموا إلى الحزب المناوي، إلا أن شكيب كان أكثر ميلاً للأتحاديين كما أيد سياستهم المركزية، لأن الحكم المركزي بنظره هو الحصن الذي يقوي الدولة من الخطر الخارجي، وكلما ازدادت الولايات ارتباطاً بالمركز كلما قل التدخل الأجنبي في شؤونها، هذا ما أدى لاستنكار بعض من سياسي ومفكرين العرب بسبب مشايعته للأتحاديين، ومن بين أشد المنكرين له صديقه محمد رشيد رضا، رغم أن رشيد رضا من أشد المدافعين عن الدولة العثمانية⁽¹⁾.

وعلى الرغم من وصول الدكتاتور الثلاثي أنور باشا وطلعت باشا⁽²⁾ وجمال باشا⁽³⁾ إلى سدة الحكم

فروع الحزب في مختلف الولايات العثمانية. أهم مبادئه المطالبة باللامركزية في الحكم ونقد النزعة المركزية للأتحاديين. سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي، في غمرة النضال، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1952، ص 87.

(1) أرسلان، كوارث سوريا في سنوات الحرب، المنار، م 2، ع 23، 1922، ص 122.

(2) رجل دولة عثماني، ومن زعماء جمعية الاتحاد والترقي ولد بأدرنة عام 1874، تعلم اللغة الفرنسية في مدرسة الاتحاد اليهودي، تقلد مناصب عديدة في الدولة العثمانية، فقد أصبح نائباً عن أدرنة بعد عام 1908، وعين في العام التالي وزيراً للداخلية، وصدرًا أعظم من عام 1918-1917، انحاز إلى جانب ألمانيا أبان الحرب العالمية الأولى، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في هذه الحرب هرب إلى ألمانيا وقتل هناك في الخامس عشر من آذار 1921. لوثرروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، ط3، المجلد 2، ج 4، دار الفكر، 1971، ص 380، 385.

(3) ضابط عثماني بارز وأحد قادة جمعية الاتحاد والترقي، تولى مناصب مهمة في الدولة العثمانية، أبرزها وزير

تتلخص في الحصول على مساهمة أكبر للعرب في الحكومة العثمانية ومنحهم استقلالهم الذاتي⁽³⁾. عارض شكيب هذا المؤتمر بشده مبررا ذلك أنه لا ينبغي الإقدام على خطوة كهذه والدولة مشغولة بحرب البلقان التي سلخت قسما كبيرا من ممتلكاتها الأوربية وأفقدتها أهميتها العسكرية والسياسية، إضافة إلى أنه أقيم في دولة تعد من ألد أعداء الدولة لها أطماع في سوريا، وأرسل برقيات إلى اسطنبول لاستنكار المؤتمر، وقال أن أعضاء مؤتمر باريس لا يمثلون سوى أنفسهم ويعملون بوحى من الدول الأوربية⁽⁴⁾. ومن الجدير بالذكر أن نقاشا حادا دار بين شكيب أرسلان ونائب الديوانية توفيق بك في إحدى جلسات مجلس المبعوثان حول عبارة المؤتمر العربي، فرفض أرسلان تسجيل هذه العبارة في محضر الجلسة، وذكر أن المؤتمر لا يمثل العرب جميعهم وإنما مجموعة من الأشخاص لا يمثلون الأمة العربية⁽⁵⁾.

وبعد موقفه المعارض للمؤتمر ارتفعت مكانة شكيب أرسلان عند قادة الاتحاد والترقي خاصة أنور باشا الذي كون عنه نظرة خاصة فرأى فيه الرجل الغيور على دولته.

رابعاً: موقفه من الحرب العالمية الأولى 1914

1918 -

انقسم الساسة العثمانيين والعرب إلى فريقين بين مؤيد ومعارض لدخول الدولة الحرب، وكان

الاتحاديون تشديد المركزية في الحكم وتمجيد النزعة الطورانية ومحاولة تترك العرب بالقوة، هذا ما أدى إلى نمو الحركات الانفصالية والقومية في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، لقد انتقد محمد رشيد رضا السياسة التي سار عليها الاتحاديون وأخذ يكتب عن مظالمهم المتعددة، من بينها الاستعلاء على العرب والإسراف في عزلهم من الوظائف الحكومية فضلا عن إنقاص عددهم في مجلس الأعيان، وطال قمعهم حتى اللغة العربية التي عملوا على جعلها لغة ثانوية في المدارس والإدارة⁽¹⁾.

نال العرب صدمة من الاتحاديين وأحسوا بأن من أجل الحرية والتخلص من الحكم المطلق لا بد من تأسيس عدد من الجمعيات السرية، كان شكيب أكثر ميلا للاتحاديين بل وساند سياستهم من خلال تنقله عام 1913 بين سوريا ولبنان وفلسطين لشرح وجهة نظره المؤيدة للاتحاديين معربا عن رفضه للحكم اللامركزي والانفصال العربي عن الدولة العثمانية، مشددا على أهمية التعاون بين العرب والأتراك، ومحدرا من سياسة الأجانب الذين يريدون إيقاع الشقاق بين الطرفين ليستغلوه خدمة لمصالحهم، مؤكدا بأن الدول الأوربية متفقة على تقسيم سوريا وفلسطين والبلاد العربية بينهم⁽²⁾ وهذا ما استثبته الأيام فيما بعد.

مع اشتداد المركزية في الحكم، وبلوغ سياسة التتريك أوجها، عقد القوميون العرب المؤتمر العربي في باريس عام 1913، وكانت مطالبهم

(3) زين نور الدين الزين، نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار، بيروت، 1968، ص 105.

(4) شكيب أرسلان، سيرة ذاتية، ص 80
(5) Meclisi Mebusan Zabıt Ceridasi, Devre.3, Cilt.2, İçtima Senesi. 1, 1330 (1914), S.603.

(1) محمد رشيد رضا، العرب والترك (اعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا)، مجلة المنار، ج 12 المجلد 12، العدد 12، 11 كانون الثاني 1910، ص 917-918.

(2) عبد الرؤوف سنو، الحركة العربية وألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى شكيب أرسلان نموذجا، مجلة حوار العرب «مجلة»، العدد 1، 1982، ص 17.

وجعلها تابعة مباشرة لإسطنبول، والثاني فيتمثل في القضاء على الحركة العربية التي اختمرت في نفوس العرب وهي في المهد بالإضافة إلى تتركهم⁽⁴⁾. فألقى جمال باشا القبض على جماعة من رواد الفكر والسياسة في الشام ممن اشتركوا في مؤتمر باريس، ولإرهاب الناس أكثر قام بنفي بعض العائلات إلى الأناضول، ورغم أن شكيب حاول تبرير هذا الإجراء بان الأتراك حاولوا إقامة تبادل بين هذه العائلات المنفية وعائلات أخرى تركية تحمل محلها محاولين بهذا إحداث نوع من التمازج بين الطرفين لان العرب في رأيهم أمة ارستقراطية وهذا هو السبب وراء عدم امتزاجهم مع الأتراك⁽⁵⁾، مهما يكن الأمر فأن هذا التصرف الحاقد في هذا الظرف الاستثنائي من قبل جمال باشا لا يدل إلا على مدى حقه وتعبه للنزعة الطورانية.

وشكيب الذي حاول إيجاد مبررات لتصرفات الاتحاديين المبالغ فيها قد صعق لهول ما رآه من جمال باشا بعد أن حكم على القافلة الأولى⁽⁶⁾ من صفوة العرب بالإعدام شنقا، لقد حاول شكيب إقناع جمال بالعدول عن هذا القرار المتعسف لأنه متأكد بأن من حكم عليهم بالإعدام كانوا من الأبرياء وفي حال أصر على معاقبتهم يكتفي بسجنهم أو نفيهم، غير أن جمال رفض كل مساعيه للتوسط لهم قائلا «... كنت أحب أن أطلعك على المكاتب

شكين أرسلان من المؤيدين لدخولها الحرب، فقد رأى أن من الحكمة أن تخوض الدولة تلك المغامرة لأن بقائها على الحياد يعرضها إلى خطر التقسيم الذي أُنفق عليه أيام حرب البلقان⁽¹⁾، فأرسلت الدولة أعضاء مجلس المبعوثان العرب إلى بلادهم لما يحمله هؤلاء من تأثير سياسي على أهاليهم، فعاد شكيب إلى سوريا بطلب من أنور باشا، وشرع في تأدية دوره على أكمل وجه كما شرح أهمية توحيد كلمة العثمانيين ومواجهة الدعوات الانفصالية التي هدفها الإضرار بمصلحة الدولة، إضافة إلى تهدئة السوريين المتخوفين من الحرب، كما كان يلقي المواعظ على المسلمين ولاسيما الدروز ووجوب مصافاة المسيحيين وحسن معاملتهم حتى لا يتسنى لأي كان استغلال الشقاق الذي قد ينشب بينهم⁽²⁾.

كما أرسلت الدولة العثمانية جمال باشا إلى سوريا في الحادي والعشرين من تشرين الأول 1914، وكان شكيب من بين الأعيان الذين رحبوا بجمال باشا وهو بدوره كان متحمسا لرؤية ذلك الرجل الذي أوصى عليه أنور باشا مؤكدا على إخلاصه للدولة، فخاطبه «... لن تنسى الدولة قدر خدمتك لها وللوطن وقد أثبت بفعلك أنك رجل كريم الشيم...»، فرد شكيب «...إني إلى الآن لم أقم بشيء يذكر ولكنني مستعد أن أفدي الدولة بحياتي وأرى ذلك فرضا على الجميع...»⁽³⁾. إلا أن جمال باشا في حقيقة الأمر جاء إلى سوريا لهدفين لا غير، الأول يتمثل في إلغاء امتيازات متصرفية جبل لبنان

(4) ناصر الحكيم، المصدر السابق، ص 56.

(5) المصدر نفسه، ص 55-56.

(6) حكم جمال باشا الموت على كل من عبدالكريم الخليل وصالح حيدر ومسلم عابدين، ونايف تلوو ومحمد المحمصاني ومحمود المحمصاني وعبدالقادر الخرسا ومحمود العجم وسليم عبدالهادي ونور الدين القاضي وعلي الأرمنازي. أمين سعيد، المصدر السابق، ص 66.

(1) محمد سالم احمد عمارة، المصدر السابق، ص 47.

(2) موسى سليمان، الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1918-1908، ط 1، دار المنهل اللبناني، بيروت، 2007، ص 86.

(3) نقلا عن: أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، المجلد الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص 64.

غادر شكيب أرسلان سوريا أواخر 1916 قاصدا اسطنبول دون أن يستأذن من جمال باشا مستندا إلى كونه أحد أعضاء مجلس المبعوثان، وهناك شرح وجهة نظره حول سياسة جمال باشا وطلب من الاتحاديين إيقاف مهامه في سوريا أو على الأقل الحد من صلاحياته، كما ناقش قضية المبعدين إلى الأناضول رغم أنه لم يستطع التأثير عليهم بخصوص جمال إلا أنه استطاع أن يضغط على طلعت باشا وتمكن من إعادة المنفيين إلى سوريا تدريجيا بالرغم من معارضة جمال باشا⁽⁶⁾.

خامساً: موقفه من الثورة العربية عام 1916

قضى جمال باشا على كل ذكرى جميلة ممكن أن يحتفظ بها العرب عن الأتراك وبأغلاطه يكون قد ألقى بالعرب في أحضان الحلفاء راجين منهم الاستقلال، ولتحقيق تلك الغاية تمت اتصالات سرية بين الشريف حسين وبريطانيا عرفت تاريخيا بمراسلات «حسين- مكماهون» وتم الاتفاق النهائي لمباشرة العمل المشترك ضد الدولة العثمانية، أعلن الشريف حسين الثورة في العاشر من حزيران 1916، انطلقا من مكة واستمرت لمدة سنتين اكتسحت فيها القوات العربية وتمكنت بدعم من بريطانيا من دخول دمشق في تشرين الأول 1918، وإعلان الحكومة العربية برئاسة الأمير فيصل بن الشريف حسين⁽⁷⁾.

كان شكيب أرسلان من أشد المعارضين للثورة العربية منذ بدايتها، واستمر في موقفه هذا حتى نهايتها، وعدها ثورة تخدم المصالح الأجنبية لا العربية، وكان موقفه نابعا من قناعته أن البلاد

التي من بعضهم إلى بعض بالحث على قتلك⁽¹⁾ مشيرا إلى رسائل وارده من حقي العظم يحث فيها على التخلص من شكيب، فرد عليه شكيب بأن هذا الوقت ليس لتصفية الحسابات الشخصية، لأن القضية تخص الدولة العثمانية ككل، وأن أعماله ستكون وبالاً عليها لا أكثر⁽²⁾.

وما لبثت أن كانت القطيعة بين الرجلين بعد قيام جمال بإعدام القافلة الثانية⁽³⁾ من زعماء العرب في السادس من أيار 1916، ويذكر شكيب بأنه لم يكن للحكومة علم بإعدام القافلة الثانية، ولما علم جمال باشا بموقف شكيب الرفض لسياسته قال: «...إنني حاولت أن أطوق رقبة شكيب بجمال المشنقة فلم أجد منها ما يحيط عنقه...»⁽⁴⁾.

شعر شكيب أرسلان بخيبة بالغة إزاء عجزه عن وقف أعمال جمال باشا، ورغم التوتر الحاد بين الرجلين، إلا أن شكيب ظل عاملاً نشطاً لأجل الفكرة العثمانية فكان يصدر «جريدة الشرق» عام 1916 بطلب من الاتحاديين لتكون الجريدة الناطقة باسمهم⁽⁵⁾.

(1) شكيب أرسلان، كوارث سوريا في سنوات الحرب، المنار «مجلة»، مجلد 23، عدد 2، ج 2، 27 شباط 1922، ص 128.

(2) المصدر نفسه، ص 128

(3) أعدم جمال باشا في القافلة الثانية كلا من عبدالحميد الزهراوي والشيخ أحمد طيارة وعبدالغني العريسي وشكري العسلي ورشدي الشمعة وعبد الوهاب الإنكليزي وجرجي الحداد وجمال البخاري وسيف الدين الخطيب وغيرهم. شكيب أرسلان، الأمير شكيب يتكلم، مجلة المعرض، 1 كانون الثاني، 1923، العدد 6، ص 12.

(4) أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، ص 26.

(5) ناصر الحكيم، المصدر السابق، ص 58.

(6) المصدر نفسه، ص 61-60.

(7) للمزيد ينظر: أمين سعيد، المصدر السابق.

العالمية الأولى⁽³⁾.

وبالرغم من هذا فهذا لا يعني رفض شكيب للحركة العربية الاستقلالية المبنية على أسس سليمة بعيدة عن مداخلات الاستعمار فقد قال «... لو علمت أن هذا الحلم سيتحقق لما سبقني في هذه الحلبة سابق، وكنت أول من يدعوا إلى الانفصال عن الترك لأن الحلفاء سيغدرون بالعرب بعد انفصالهم عن الترك وسيقع العرب من الندم على ثقتهم بانجلترا وحليفاتها...»⁽⁴⁾ لأنه متأكد من المؤامرات التي كانت تحاك لأجل فصل العرب عن الدولة العثمانية أولاً، واحتلال على بلادهم ثانياً بغية تقسيمها إلى مستعمرات للحلفاء وبناء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ورفض شكيب اتهامات العثمانيين للعرب بالخيانة بعد اندلاع الثورة وصرح بأن الشريف لا يمثل كل العرب كما أن العرب قاتلوا بجانب العثمانيين ملقياً اللوم على سياسة التتريك وخطرسة جمال باشا التي عمقت الهوة بين الطرفين، لقد أنتقد شكيب نقداً لاذعاً بسبب موقفه من الثورة العربية واعترف بذلك في قوله «كان الملك حسين عفا الله عنه وأنصاره من العرب يحملون علي حملات شديدة باللسان والقلم، وكثيراً ما كتبت جريدة (القبلة) طعناً وقذفاً بحق كاتب هذه السطور يدل على ما هناك من ضغن»⁽⁵⁾.

(3) لوثرروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، ج 4، ط3، دار الفكر، القاهرة، ص 391-392.

(4) نقلاً عن: شكيب ارسلان، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، ص 111.

(5) نقلاً عن: سامي الدهان، الأمير شكيب ارسلان حياته وأثاره، ط2، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1959، ص 77.

العربية سوف تقع تحت سيطرة بريطانيا وفرنسا واليهود، وأكد ذلك فقال «إن انشقاقكم عن الترك تمكين للانجليز من اقتسام البلاد العربية وتمكين اليهود من فلسطين»⁽¹⁾ وفي رسالة بعثها الأمير إلى الشريف حسين ونشرها في جريدة سوريا الرسمية قال فيها «...أيها الأمير عندنا في بر الشام مثل سائر: أن أنت لم تمت ألم تر من مات؟ فعلى فرض أن الانجليز لم يخونوك الآن أيها الأمير، أفلا تنظر إلى من خانوا قبلك؟ وعلى تقدير أنه لم يأت وقتك أفلا اعتبرت بمن أمهلوا قبلك ثم أخذوه؟... أتظن أيها الأمير أن الانكليز يغدرون بكل هؤلاء الملوك والممالك ويستثنوك أنت من الجميع فيتعلمون منك الوفاء ويخرقون من أجلك خطة الغدر التي ساروا عليها إلى يومنا هذا... أم غرك كون الانكليز عقدوا معك عهداً؟ قل لي بحرمة جدك أيها الشريف ابن الشريف كم عقدا عقد الانكليز ولم ينقضوه؟... فأعلم أيها الأمير أن الدولة العثمانية وحلفاءها ما داموا في الدنيا لا يتركون سوريا للانكليز... وأنا نحن السوريين لا نرضى أن يأخذ بلادنا أجنبي ولا إنكليزي، ولا يهودي، ولا أن يتولاها عربي تحت سيطرة أوروبي، وفي هذا كفاءة لقوم يعقلون»⁽²⁾.

وكان شكيب لا يعد نفي جمال باشا لبضعة آلاف من أبناء سوريا إلى الأناضول مبرراً لقيام الثورة، فالدولة تنفق عليهم نحو مائة وخمسين ألف ليرة شهرياً، ويؤكد على أنه لو لم يقيم جمال باشا بأعماله فالثورة واقعة لا محالة، ويستنتج ذلك من إظهار كثير من شباب العرب الفرح والسرور بانتصار الحلفاء على الدولة العثمانية وألمانيا أثناء الحرب

(1) شكيب ارسلان، رسالة من شكيب إلى رشيد رضا، أحمد الشرياصي، شكيب ارسلان حياته وأدبه، ملحق، ص 96.

(2) نقلاً عن: شكيب ارسلان، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، تقديم نجيب البعيني، ط2، الدار التقديمية، لبنان، 2011، ص 111-117.

المدينة كلها، وسلوكهم طرق التحقيقات العلمية، إلى آخر ما وصلت إليه، مع حفظهم لعاداتهم ونزعاتهم وأذواقهم وبقائهم كما كانوا إفرنجاً. إذا كنا نريد بالفعل أن نتفرنج تحتهم علينا أن نبقي عرباً⁽³⁾. وهدف من وراء اهتمامه بالرابطة العربية لتوثيق العلاقة بين العرب من نصارى ومسلمين لجعل موقفهم واحداً ضد العدو الأكبر الاستعمار⁽⁴⁾.

وقد أكد أرسلان في بداية الأمر على أهمية الرابطة الدينية في وحدة العرب فقال «محال اجتماع العرب إلا على عصبية دينية»، ثم تراجع فأعطى رابطة العروبة أهمية أكبر لتحل محل الرابطة الدينية فقال «ولعمري لا بأس من تقوية الرابطة الجنسية العربية وإحياء معارفها وتجديد ذكرى أنسابها وعمارة صدور العرب بمعرفة أصولها التي تذكرها بوحدتها»⁽⁵⁾.

ويتضح تأكيد أرسلان في تقديمه رابطة العروبة على الرابطة الدينية بقوله «...من المعلوم إن إخواننا الإيرانيين هم مسلمون على مذهب الشيعة فإذا لا سمح الله - وقعت عداوة بين دولتي إيران والعراق أي بين العجم والعرب أيكون هوى شيعة العراق مع الإيرانيين ضد إخوانهم أهل السنة من العرب، أم مع إخوانهم أهل السنة من العرب على إخوانهم الشيعة العجم؟ إذن ثبت من هنا أن رابطة النسب ورابطة اللغة لا تتغلب عليها رابطة إلا إذا كانت هناك فئة باغية وفئة مبغية عليها، إذن ارتباط المسيحي بالمسلم بالبلاد العربية ارتباط عصبية ولغة ورابطة وطنية ومنافع مادية...»⁽⁶⁾.

(3) نقلا عن: احمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة، ص 81.

(4) شكيب أرسلان، بيان للامة العربية عن حزب اللامركزية، مطبعة العدل، القاهرة، 1913، ص 47-48.

(5) المصدر نفسه.

(6) نقلا عن: شكيب أرسلان، عروة الاتحاد بين أهل

المبحث الثالث:

شكيب أرسلان والقضية العربية

أولاً: القومية العربية

إن أهم تحول حدث في حياة الأمير شكيب أرسلان هو انتقاله من النزعة العثمانية إلى النزعة العربية، فقد كانت نهاية الحرب العالمية الأولى آخر المراحل في عثمانيته، ولعل ما حدث بعد الحرب من تمزيق للبلاد العربية واقتسام أراضيها بين الحلفاء هو الذي كان السبب الأساسي في اتجاهه القومي العربي⁽¹⁾، وكان من بين المفكرين العرب الأوائل الذين ساهموا في تعميق المفهوم القومي عند العرب، وهو يصف الأمة العربية بـ «ذات التاريخ الأبعد والسنام الأقدس، والعرق الأنجب واللسان الأذرب»⁽²⁾.

رغم التحول الكبير الذي طرأ على فكر شكيب أرسلان بعد الحرب العالمية الأولى ودعوته إلى الفكرة القومية، لم يكن أرسلان ضدها أبان الحكم العثماني، بل كان يسعى إلى التوفيق بين العروبة والوحدة العثمانية، وفي الوقت نفسه كان يوصي العرب بالمحافظة على عروبتهم بالتزام العادات والتقاليد والتراث العربي. فكان يحذر من تقليد الغرب تقليداً أعمى، ولم يكن يرى حرجاً من أخذ النافع من العلوم منهم «فإذا كنا نحقق نريد أن نتفرنج فلنقتد بهؤلاء القوم في البحث والتمحيص، وعدم قبول نظام ولا قانون إلا بعد قتل فائدته خيراً، وإذا كنا نريد أن نتفرنج فلنحذ حذو هؤلاء القوم في عروجهم معارج

(1) احمد الشرباصي، شكيب أرسلان من رواد الوحدة العربية، ص 13.

(2) شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والاثارة الأندلسية، ج 1، ط 1، المطبعة الرحمانية، مصر، 1936، ص 7.

نكتث فإنما ينكتث على نفسه»⁽⁴⁾. وطالما كان يفخر بأنه عربي، ورددها يملأ بها فمه، أو يشغل به قلمه فكان يقول «إني عربي حر في بلاد عربية حرة» ويقول «إني خاضع لحكومة عربية بحثة، رأسها وأعضاؤها مني وألي، وأنا منها واليها»⁽⁵⁾.

ومن مظاهر عناية شكيب أرسلان بالعروبة والقومية اهتمامه بالبحث في أصل العرب وسبب تسميتهم، والعرب في نظر شكيب هم من انحدروا من أصول عربية، أو من أصول شقيقة لها، أو ثقافتهم عربية، ومنزعمهم واحد، ولغتهم واحدة. «فأنتم ترون أن هذا العالم العربي كله ذو منزع واحد، ولغة واحدة، وغاية واحدة، ولهذا فالطبيعة ستسير به قهرا وقسرا إلى أجزاء من السنغال إلى الموصل ستعود مملكة واحدة كما كانت في الخلافة العباسية»⁽⁶⁾.

وبرزت قوميته من خلال مطالبته بتعليم اللغة العربية للنشء تعليما صحيحا، بل طالب بإتقانها إتقانا تاما، كما عمل على بعث القومية العربية بإحياء التراث العربي القديم في الثقافة والفكر وتقويم ما أعوج من أساليب الكتابة والتعبير اللغوي حتى تناسب لغة الضاد مع حاجيات العصر⁽⁷⁾.

(4) نقلا عن: شكيب أرسلان، عروة الاتحاد، ص-41
52؛ احمد الشرياصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص 80-79.

(5) نقلا عن: شكيب أرسلان، الإرسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، ط1، مطبعة المنار، القاهرة، 1931، ص 11-10.

(6) نقلا عن: احمد الشرياصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص 84-83.

(7) محمد علي الطاهر، ذكرى الأمير شكيب أرسلان المرثي وحفلات التأبين وأقوال الجرائد، القاهرة، 1947، ص 365.

وكان ارسلان يهدف من اهتمامه وتأكيده على رابطة العروبة توثيق العلاقة المصيرية بين نصارى العرب والمسلمين العرب لجعل موقفهم واحدا ضد العدو الأكبر «الاستعمار» فقال «إن العرب سواء كانوا مسلمين أو نصارى هم عرب، لا يقدرّون أن يتبرأوا من أصلهم ولا أن ينسلخوا عن أرومتهم [أصلهم] العربية، ولا نزاع أن رابطة الدم كانت ولا تزال أقوى الروابط الجامعة بين الشعوب»⁽¹⁾. وفي الوقت نفسه لم يشترط أن تؤدى وحدة العرب من نصارى ومسلمين إلى ترك الرابطة الإسلامية⁽²⁾. ومن مظاهر اهتمامه وتعلقه بالقومية العربية دفاعه عن عروبة الدروز واهتمامه ببيان أن الدروز هم عرب ولقد كتب مقالا تحت عنوان «الدروز أو بني معروف عرب أقحاح» أثبت فيها لنفسه ولطائفته صفة العروبة، وقد كان حريصا على هذا الإثبات، لأنه رأى أن أصوله الدرزية وقفت عائقا أمام تقبل المجتمع العربي لدوره الجديد وتحوله من النزعة العثمانية إلى العربية⁽³⁾ ويختم شكيب دفاعه عن عروبة الدروز بقوله «فأولئك الذين يعدون الأجانب بأن آل معروف يكونون إلى جانبهم على الأمة العربية قد احتملوا بهتاننا وإثما مبينا، فهما يكن من العوامل فإنه متى انقسم الناس، ولحق كل فريق بأهله، فأبناء معروف لا يخرجون عن الجامعة العربية، ولا الجامعة الإسلامية، ولن يقدر أحد أن يخل بهذه القاعدة فمن

الجهاد، تقديم رضوان السيد، إشراف وتحرير سوسن النجار نصر، ط1، الدار التقدمية، لبنان، 2009. ص 191-190.

(1) نقلا عن: محمد سالم احمد عمارة، المصدر السابق، ص 182.

(2) شكيب أرسلان، بيان للأمة العربية، ص 43-42.
(3) William L. Cleveland, Op.Cit, p 48.

كبيراً في تحويل أفكاره من يسارية شيوعية إلى أفكار قومية عربية، وبقيت اللقاءات بين شكيب والعرب المغاربة في فرنسا مستمرة بسبب الاهتمام الكبير الذي أبداه الأمير بقضية المغرب العربي⁽⁴⁾.

وكان لإتصالات شكيب أرسلان بالنخبة المثقفة في المغرب العربي أثر كبير في برمجة عملهم السياسي وتحويل أفكارهم من الإقليمية الضيقة إلى القومية العربية، وتوحيد عملهم وربط مصيرهم بالمشرق العربي، لأجل تحقيق قوميتها ووحدهم العربية⁽⁵⁾.

إن إطلاع الشباب المغربي المثقف على آراء وأفكار القوميين من أبناء المشرق وخاصة شكيب أرسلان جعلهم يعودون إلى بلادهم وهم يحملون هذه الأفكار وعازمين على نشرها بين أبناء وطنهم وتحويل مسار تفكيرهم واتجاههم فتتج عن هذه الحركة ظهور التنظيمات والأحزاب القومية التي كانت قد حددت برامجها وأهدافها التي تجسدت في الاستقلال التام وتأييد هويتها القومية العربية⁽⁶⁾.

ولقد عمل شكيب أرسلان من أجل المغرب كثيراً مما جعل أحد رجاله وهو السيد محمد بن عبود المراكشي يقول عنه «...لم يكن في الدنيا صوت يدافع عنه [المغرب العرب] سوى صوت الأمير... وقد عمل في نفس الوقت على إيقاظ الشعور الوطني في هذه البلاد والاتصال بأبنائها وتوجيههم إلى الأخطار المخيفة

ويؤكد أرسلان أن تمسك الأمة العربية بلباسها وزياها العربي دليل على تمسكها بالقومية العربية، وليس كما يزعم الجهلاء علامة تخلف وتأخر، وينبغي أن نشيد بالعربي الذي يحافظ على تقاليد قومه، ومما برهن على اعتزاز أرسلان بتقاليد الأمة العربية، أنه كتب مقالا في عام 1926 بعنوان «اللباس الصحي والغطاء الصحي للرأس» ردا على قرار الجمعية المغربية بأن لباس الطربوش غير صحي، وأن القبعة أحسن للوقاية من تأثير الشمس. فكان شكيب لا ينظر إلى المسألة من ناحية صحية، بل من ناحية الغيرة القومية⁽¹⁾.

ولقد مارس الأمير شكيب تأثيراً كبيراً في انتشار الوعي القومي في المغرب العربي، وذلك من خلال اتصالاته الشخصية مع سياسيين ومصلحين أو عن طريق مؤلفاته وكتاباته في الصحف والمجلات وخاصة مجلة «الأمة العربية» التي كان يصدرها من جنيف، فقد كان متتبعا لكل ما يجري في أقطار الشمال الإفريقي ويراسل رجالاته ومثقفيه، ويعقب على ما يصدر فيه من مقالات وكتب، وقد أدى ذلك إلى بروز المشاعر القومية والدينية في المغرب العربي بالرغم من انتشار الاتجاه الإقليمي في دوله⁽²⁾.

ومن أوائل زعماء المغرب الذين اتصلوا بشكيب أرسلان هو مصالي الحاج⁽³⁾ الذي أدى شكيب دورا

الوطني المبكر، أسس عام 1926 حزب «نجم شمال أفريقيا» الذي كان أول تنظيم سياسي يطالب صراحة باستقلال الجزائر، وفي عام 1937 «حزب الشعب الجزائري»، ثم في عام 1946 «حركة انتصار الحريات الديمقراطية». بنجامين ستورا، مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1974-1893، ترجمة عماري ماضي، منشورات الذكرى الـ40 للاستقلال، الجزائر، 2009.

(4) ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، ص 461

(5) المصدر نفسه، ص 462.

(6) ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، ص

(1) شكيب أرسلان، اللباس الصحي والغطاء الصحي للرأس، جريدة الفتح، العدد 12، القاهرة، 12 أيلول، 1926، ص 13.

(2) ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، 461.

(3) أحد أبرز الشخصيات في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ويلقب بـ«أبو الأمة» نظرا لدوره الريادي في النضال من أجل استقلال الجزائر، ولد في السادس عشر من أيار 1898 بمدينة تلمسان لعائلة بسيطة، تلقى تعليماً مزدوجاً حيث درس في المدارس الفرنسية وتلقى تعليماً دينياً تقليدياً، مما ساهم في تشكيل وعيه

وهو من جانب آخر يحذر أبناء فلسطين من الخلاف والشقاق حتى لا يمنحوا الصهاينة الفرصة لتنفيذ برنامجهم حيث نجده يقول «إن اختلاف أعيان فلسطين قد قوت آمال الإنكليز واليهود كثيرا على إنفاذ البرنامج الصهيوني وأضرت جدا بالعرب» وهو يدعو العرب للتضامن وعدم التخاذل كما فعل اليهود حيث يقول «أيها الناس أن اليهود بتضامنهم الروحي أصبحوا يملكون القسم الأكبر من اقتصاديات العالم وهم بضعة ملايين حتى صار يحسب لهم حساب في وزارات الاقتصاد العالمية، فما بالناس نتخاذل ونحن أربعمائة مليون مسلم»⁽⁵⁾. وكان آخر وصية للأمير شكيب قبل موته «أوصيكم بفلسطين»⁽⁶⁾.

ثانياً: الوحدة العربية

بعد أن فشلت دعوة شكيب أرسلان في الحفاظ على الوحدة بين العرب والأتراك في إطار الإسلام أخذ ينادي بالوحدة العربية إذ نجده يقول «ولكن إذا كانت العثمانية ذهبت وذهبت وحدتها، وانطوى بساطها. وأما العربية فلن تذهب وحدتها، لا تزال نشيدة آمال العرب»⁽⁷⁾. ويقول «هل للعرب نجاة بغير الاتحاد؟ وهل الدولة العربية التي تنزع إليها نفوسنا غير دولة الاتحاد العربي أو الممالك العربية المتحدة»⁽⁸⁾. ومن شروط تحقيق الوحدة العربية بنظر شكيب أرسلان هي النهضة الأدبية، حيث يقول «إن جمع الشمل السياسي لا يكون إلا بلم الشعث الاجتماعي وبث الروح الأدبية» ثم تأتي بعدها النهضة العلمية «لا نهضة للأمم سوى النهضة العلمية بعضها فإذا وجدت هذه، جاءت سائر النهضات من سياسية

التي كانت تحيط بهم يومئذ»⁽¹⁾ وهكذا نجد أن كثير من زعماء المغرب تلاميذ أوفياء للأمير شكيب أرسلان.

أما فلسطين فقد دافع عنها وعن عروبتها منذ وقت مبكر، حيث كتب مقالا في مجلة الشورى في سنة 1926 فنجد فيه مزاعم وايزمن واليهود حيث قال «إذا كان الله حكم على اليهود بأن يشتتوا أيدي سبأ، ولا تكون لهم مملكة، فيكون العرب مسؤولين عن ذلك، ويجب أن يعاد شمل هذه الأمة على ظهر العرب ومن كيس العرب»⁽²⁾.

وهاجم شكيب أرسلان الصهيونية في مقالات ومؤتمرات عدة، إذ كتب في إحدى مقالاته يصف الصهيونية «ما لا خلاف فيه أن الصهيونية في فلسطين اعتداء محض، وتجاوز بحت، لا يفترق بشيء عن اعتداء لص من قطاع الطرق على عابر سبيل يسلبه ماله وثيابه... والذين يدعون بعد ذلك الصلح بين العرب واليهود هم أشبه بمن يدعون عابر السبيل المسلوب ماله والمجرد من ثيابه إلى مصالحة اللص الذي اعتدي عليه»⁽³⁾.

وفي مؤتمر بلودان الذي انعقد سنة 1937 والذي يعد أول مؤتمر قومي للقضية الفلسطينية، أشار في كلمته للمؤتمر «إن قضية فلسطين ستكون باب الاتحاد العربي الذي يجمع بين لوائه سبعين مليون من العرب يومها» وذكر أن القضية الفلسطينية هي قضية الأمة العربية⁽⁴⁾.

(1) نقلًا عن: احمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة، ص 108.

(2) احمد الشرباصي، شكيب أرسلان، داعية العروبة والإسلام، ص 110-111.

(3) ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، ص 496.

(4) المصدر نفسه، ص 469-470.

(5) المصدر نفسه، ص 470.

(6) سامي الدهان، المصدر السابق، ص 99.

(7) ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، ص 456-457.

(8) احمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة

والإسلام، ص 111.

والشام بك فلا تبالي»⁽⁴⁾. وقال له الملك فيصل «أشهد بأنك أول من تكلم معي من العرب في قضية الوحدة العربية»⁽⁵⁾. واعتقد شكيب أن تكون الوحدة العراقية - السورية إذا تمت، نواة للوحدة العربية الشاملة، فالوحدة العربية تحقق عندئذ بصورة تدريجية.

وهو باتصاله ووثوقه بالملك فيصل دلالة على أنه لم يكن ضد شخص الشريف حسين وثورته بل كان ضد وثوقه بعود البريطانيين وألاعيهم، فأعلن بعد أن تنكرت بريطانيا لعودها «إنني كنت ضد الملك حسين وأولاده في خروجهم على الدولة لأسباب يعرفها الخاص والعام. ولكن متى صارت المسألة بينهم وبين الأجانب فلا سبيل للتردد في الانتصار لهم، لان القضية تكون حينئذ بين عربي وأجنبي»⁽⁶⁾، وكان الأمير يحذر العرب من التورط في مشاريع بريطانيا وفرنسا وإيطاليا مثل مد خطوط سكك الحديدية أو نيل الامتيازات أو عقد المعاهدات مهما كانت التي يسبغونها على هذه المشاريع لتبرير عقدها والدخول في التزاماتها «إن القيد قيد وأن صيغ من الذهب وحبل الشنق خانق وأن كان من حرير»⁽⁷⁾.

كما نصح شكيب عام 1931 عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين بجعل إمارة الأدارسة تحت حمايتها المشتركة، وإنهاء الصراع والتنافس الذي كان بين الطرفين للسيطرة على هذه الإمارة. وأكد لهما أن الاتفاق يشعر القوى

وعسكرية واقتصادية، الخ، أخذها بعضها برقاب بعض»⁽¹⁾.

ومن الشروط الأخرى لهذه الوحدة هو مد خطوط السكك الحديدية بين الشام وجزيرة العرب والعراق، على أن تكون هذه الخطوط للعرب وبأيدي العرب فهو يقول «وإن من أركان هذه الوحدة وأعمدها الكبرى هذا الخط الحديدي الذي يقف الانكليز والفرنسيين في وجه استئناف اتصاله بالشام إلا خوفا من نقطة هذه الوحدة»⁽²⁾.

كتب شكيب أرسلان عدة مقالات يدعو فيها إلى الوحدة العربية، من أبرزها مقالا عنوانه «أزفت ساعة الاتحاد أيها العرب» وذلك في آب 1925، يقول فيه «القضية ليست قضية تاج ولا صولجان، وإنما هي قضية الأمة العربية التي ينبغي أن يكون أمرها فوق الإمارات الولايات، وأنه خير للمرء أن يكون راعي ضأن في عز قومه من أن يكون السلطان الأعظم على قوم أذلاء... وهل من سلطان - أعظم أو أصغر - لمن سيطر الأجنبي عليه وقاده كما يقاد البعير...»⁽³⁾.

فنادى بوحدة سوريا والعراق تحت التاج الفيصلي، بعد أن وقع العراق المعاهدة العراقية - البريطانية عام 1930 وبحث موضوع الوحدة مع فيصل الأول في مدينة برن السويسرية عام 1931، وأكد أن قضية الوحدة قضية أمة وليست قضية شخص، وقال «المسألة ليست مسألة أشخاص بل مسألة أمة. ليرضى علي [علي بن الحسين، إذ كان يطمح في عرش سوريا] أو يغضب، إن كان يتم اتحاد العراق

(4) نقلا عن: احمد الشرباصي، شكيب ارسلان حياته وأدبه، ملحق ص 74-75.

(5) نقلا عن: سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره، ص 84.

(6) المصدر نفسه، ص 83.

(7) نقلا عن: ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، ص 467.

(1) المصدر نفسه، ص 104.

(2) نقلا عن: ابتسام محمد العامري، المصدر السابق، ص 458-459.

(3) نقلا عن: احمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص 43.

الاستعمارية القادمة واستند في تنبؤاته على ما كان يلاحظه من سباق في التسلح بين الدول الكبرى وبخاصة ألمانيا وفرنسا. وضعف الدور السياسي لعصبة الأمم وعدم قدرتها على حسم الصراعات الدولية، فقال «فماذا أعد العرب لمواجهة هذا الخطر، هل تحدوا؟ هل صنعوا السلاح؟ إذا لم يتحدوا فإنهم سيكون مصيرهم سيطرة الأجنبي عليهم»⁽⁵⁾.

وكان الأمير يدعو العربي دائما إلى نبذ الطائفية والتعصب، ويدعو إلى المساواة بين جميع أبناء الأمة العربية، ولذلك نجده يقول أثناء الحرب العالمية الثانية لبني قومه «وأهم قرار يجب أن يتخذه بعد قرار الاستقلال التام هو قرار المساواة التامة بين الأهالي من جميع الطوائف والمذاهب، وان البلاد هي لأهلها وحدهم من كل فريق منهم»⁽⁶⁾.

ورأى شكيب أرسلان أن تكون الوحدة اتحادا عسكريا واقتصاديا وسياسيا يضمن لنا البقاء، ويقف بأطماع الطامعين فينا» وهذا لا يستلزم برأيه الاتحاد الإداري، أي أن تحتفظ كل دولة بالاستقلالية في الإدارة الداخلية لكل مملكة أو دولة إذ يقول بوجود «تمام اندماج مملكة بأخرى، بل الوحدة العربية ممكنة بسهولة مع بناء كل من العراق وسوريا والسعودية ممالك مستقلة بإدارتها الداخلية»، ثم يضيف مصر إلى دول الاتحاد، حيث يرى بأن مصر إذا رأت أن العرب في شرق الوطن العربي متحدين عسكريا واقتصاديا واجتماعيا ومكونين كتلة واحدة في وجه الأعداء «فهل نظن أنها تتردد في أن ترتبط مع هذه الأمة العربية ارتباطا متينا وثيقا عسكريا واقتصاديا، وتصير عندنا بذلك جبهة شرقية هائلة يربو عدد أهلها على

الاستعمارية بوحدة الصف في جزيرة العرب ويقلل من خطرهم عليها. كما أن اتفاق الزعيمين يعد خطوة لتوحيد الجزيرة العربية. وتشكيل قوة عربية يعتد بها»⁽¹⁾.

وحدث شكيب أرسلان الصحافة العربية على عدم التحيز لأحد الطرفين وإثارة الفتنة بينهما بدلا من إطفائها، وأوضح أن اشتعال الحرب لا يخدم سوى الدول الاستعمارية، إذ كان أرسلان يعتقد أن بريطانيا دورا في إثارة الفتنة بين اليمن والسعودية⁽²⁾.

أدرك شكيب أرسلان أهمية الصلح بين السعودية واليمن في حماية الجزيرة العربية من الأخطار الاستعمارية، لذلك لم يأل جهدا من أجل تفويت الفرصة على المستعمرين، وذلك بالسعي لعقد الصلح، وإنهاء النزاع. وفي الوقت نفسه رأى أن استمرار النزاع سيرك آثارا سلبية على جميع المسلمين، ولذلك رفض استخدام السلاح لحل النزاع بين الطرفين، نظرا لأن نتيجته خسارة الفريقين مهما كانت النتائج، ورأى أن الحل الناجع يكمن في التحكيم⁽³⁾.

وفي مقال نشره في جريدة الشورى في آذار 1931 قال شكيب «بكينا حتى عمينا على أن نرى تحقيق مشروع الحلف العربي واجمعنا لكنا على أنه لا حياة للعرب في هذا العصر وما يليه إلا به، لأنه الوسيلة الوحيدة لصد الاستعمار»⁽⁴⁾.

وقد تنبأ شكيب منذ عام 1932 بموعد اقتراب الحرب العالمية الثانية، فراح ينبه العرب إلى أهمية الوحدة حتى يحموا أنفسهم من الأخطار

(1) المصدر نفسه، ص 209.

(2) شكيب أرسلان، رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، ص 719-720.

(3) محمد سالم احمد عمارة، المصدر السابق، ص 211.

(4) المصدر نفسه، ص 197.

(5) محمد سالم احمد عمارة، المصدر السابق، ص 202-

203.

(6) احمد الشرباصي، داعية العروبة والإسلام، ص 65.

خمسة وأربعين مليون نسمة»⁽¹⁾.

أما الجامعة العربية فقد دعا شكيب أرسلان لإنشائها بعد الحرب العالمية الأولى وهو يقول عنها «إنها المحافظة على العروبة والأسر الملكية العربية واستقلال كل دولة - وهي نواة الوحدة العربية التي تتألف من ستين مليون نسمة، والتي كان يحلم بها جميع أحرار العرب خلال قرن من الزمان»، وهو رأى فيها أيضاً أنها لن تستطيع تنفيذ مبادئها ما لم تنفذ مشاريع التجنيد الإجباري وتوفر قوات عسكرية حديثة منظمة لحماية الوحدة العربية⁽²⁾.

ثالثاً: وفاته

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتحرر سوريا ولبنان من الاستعمار الفرنسي عام 1945، عاد شكيب أرسلان إلى لبنان في الثلاثين من تشرين الأول، ومكث فيها عاماً واحداً إلى أن المرض نال منه، وفارق الحياة في يوم الاثنين التاسع من كانون الأول 1946، في بيته في بيروت على أثر نوبة قلبية أصابته أربعة أيام متتالية بعد حياة طويلة حافلة بالتضحيات والدفاع عن العروبة والإسلام، ودفن في مسقط رأسه في قرية الشويفات⁽³⁾.

الخاتمة

نشأ شكيب أرسلان في بيئة مثقفة أتاحت له سهولة الاتصال برجال الفكر والسياسة والأدب، فأدت دوراً أساسياً في نضوج فكره في وقت مبكر، وانعكس ذلك على توسيع أفقه في السياسة والأدب والتاريخ والصحافة.

ومر فكره بمرحلتين، طغت النزعة العثمانية على فكره في المرحلة الأولى، إلا أنها لم تكن عثمانية خالصة، ولم يكن أرسلان ضد الاتجاه القومي العربي، بل سعى إلى التوفيق بين العروبة والوحدة العثمانية، وكان أرسلان في هذه المرحلة يرفض الحركات الانفصالية التي قامت في أرجاء مختلفة من الدولة العثمانية، مؤكداً أهمية دولة الخلافة العثمانية موحدة.

وقد تميز موقفه بالإنحياز للدولة العثمانية، والدفاع عنها وعن رجالها في جميع أحوالها، غير أنه لم يكن من أصحاب المطامع والمصالح أو من المتنكرين لأصلهم، وإنما كان موقفه نابعا عن خوف وحرص على أمن دولة الخلافة الإسلامية، ووحدة أراضيها أمام الهجمات الاستعمارية التي اشتدت أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

أما المرحلة الثانية، فقد تحول فيها من النزعة العثمانية إلى النزعة العربية، وجاء هذا التحول بسبب السياسة العلمانية التي انتهجها أتاتورك عام 1923. وهذا يدل على أن موقفه السياسية تتبدل وتتغير وفقا للمصلحة العربية والإسلامية، وبتبنيه للقومية العربية حاول المزج بين العروبة والإسلام معتقداً بأن التوفيق بينهما أمراً ممكناً نظراً لمكانة العرب في الإسلام، وهو في نظره أمر ممكن في القومية العربية ومستحيل في غيرها من القوميات، كما عُد من أوائل المفكرين العرب الذين أدركوا أهمية وحدة الأمة العربية.

(1) نقلاً عن، المصدر نفسه، ص 98.

(2) سامي الدهان، المصدر السابق، ص 99، محمد علي الطاهر، المصدر السابق، ص 8.

(3) المصدر نفسه، ص 7؛ سامي الدهان، المصدر السابق،

والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر، القاهرة، 1963.

5. أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، المجلد

الأول، مكتبة مدبولي، القاهرة، دون تاريخ ودون طبعة

6. بول دومون وفرانسوا جورجيو، تاريخ الدولة

العثمانية، الجزء 2، إشراف روبر مانتران، ترجمة بشير

السباعي، دار الفكر، القاهرة، 1992.

7. توفيق علي برو، العرب والترك في العهد

الدستوري العثماني 1914-1908، دار الهنا، القاهرة،

1960.

8. _____، القضية العربية في الحرب العالمية

الأولى 1918-1914، ط1، دار طلس، دمشق، 1989.

9. زين نور الدين الزين، نشوء القومية العربية

مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار

النهار، بيروت، 1968.

10. ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية،

الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1960

11. _____، محاضرات في نشوء الفكرة

القومية، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، 1985.

12. سامي الدهان، الأمير شكيب ارسلان حياته

وآثاره، ط2، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1959.

شكيب ارسلان، بيان للامة العربية عن حزب

اللامركزية، مطبعة العدل، القاهرة، 1913.

13. _____، البيان عما شهدت بالعيان

وعمن شاهدت من الأعيان من إعلان الدستور

العثماني إلى الآن، إشراف وتحرير سوسن النجار نصر،

ط 1، الدار التقدمية، لبنان، 2008،

14. _____، الحلل السندسية في الأخبار

والاثارة الأندلسية، ج1، ط1، المطبعة الرحمانية،

مصر، 1936

المصادر

أولاً: الوثائق المنشورة

1. Meclisi Mebusan Zabıt Ceridasi, Devre.3, Cilt.2, İçtima Senesi. 1, 1330 (1914).

ثانياً: المذكرات

1. مذكرات سليمان فيضي، في غمرة النضال،
شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1952.

ثالثاً: الأطاريح والرسائل

1. أكرم جمعة صالح الجبوري، العلاقات
العثمانية اليونانية 1922-1908، رسالة ماجستير
«غير منشورة»، كلية الآداب- جامعة الموصل،
2015.

2. بركات أمين يوسف الجرادات، ديوان الأمير
شكيب أرسلان دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير «غير
منشورة»، كلية الآداب - القدس، 2018.

3. محمد سالم احمد عمارة، شكيب أرسلان 1869-
1946 دراسه في فكره السياسي، أطروحة دكتوراه، كلية
الدراسات العليا- الجامعة الأردنية، 2000.

4. مواهب معروف سالم الجبوري، جمال باشا
حياته ودوره السياسي، رسالة ماجستير «غير منشورة»،
كلية التربية للبنات - جامعة بغداد، 2004.

رابعاً: الكتب

باللغة العربية

1. آ. ج. ب. تايلور، الصراع على سيادة أوروبا
1848-1918، ترجمة فاضل جتكر، المركز الثقافي
العربي، أبو ظبي، 2009.

2. احمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان،
ج1، دار الكتاب العربي، مصر، 1963.

3. _____، شكيب أرسلان حياته وأدبه،
معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، 1962.

4. _____، شكيب أرسلان داعية العروبة

2. The Great Powers and The End of The Ottoman Empire, Edited by Marian Kent, Second Edition, Frank Cass, London, 1996, P.216.

3. Glen W. Swanson, Enver Pasha The Formative Years, Middle Eastern Studies, Vol.16, No.1, January 1980.

4. Erik J. Zürcher, Turkey A Modern History, Third Edition, Amsterdam, 1992.

باللغة التركية

1- İhsan Güneş, Türk Parlamento Tarihi, Cilt.2, Eskişehir, 1995.

خامسا: الصحف والمجلات

باللغة العربية

1. ابتسام محمد العامري، الفكر القومي عند المفكر شكيب أرسلان، مجلة همورابي للدراسات، العدد 43، السنة 11، 2022.

2. شكيب أرسلان، الأمير شكيب يتكلم، مجلة المعرض، العدد 6، 1 كانون الثاني 1923.

3. _____، اللباس الصحي والغطاء الصحي

للرأس، جريدة الفتح، القاهرة، العدد 12، 12 أيلول.

4. _____، كلمتان في الشيخ محمد عبده

والشيخ محمد رشيد رضا، المنار، ج 8، العدد 8، 31

كانون الأول 1933.

5. _____، كوارث سوريا في سنوات

الحرب، المنار، مجلد 23، ج 2، العدد 2، 27 شباط

1922.

6. محمد رشيد رضا، العرب والترك، مجلة المنار،

مجلد 12، العدد 11.

باللغة التركية

1. Ömer Aslan, Emir Şekib Arslan'ın Kişiliği Işığında İttihat VE Terakki'nin İslamcı Siyaseti, Genel Türk Tarihi Araştırmaları Dergisi, Cilt 1, syi. 2, (Temmuz 2019).

15. _____، ديوان الأمير شكيب أرسلان، مطبعة المنار، القاهرة، 1935، ص 92.

16. _____، سيرة ذاتية، إشراف وتحرير سوسن النجار نصر، الدار التقدمية، لبنان، الطبعة 1، 2008.

17. _____، شوقي أو صداقة أربعين سنة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1936.

18. _____، عروة الاتحاد بين أهل الجهاد، تقديم رضوان السيد، إشراف وتحرير سوسن النجار

نصر، ط 1، الدار التقدمية، لبنان، 2009.

19. _____، مراسلات من أمير البيان إلى كبار رجال العصر، تقديم نجيب البعيني، ط 2، الدار

التقدمية، لبنان، 2011.

20. قاسم بن خلف الرويس، سوانح افكار لأمير البيان شكيب أرسلان مع موجز من سيرته، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2014.

21. لوثرروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ترجمة عجاج نويهض، المجلد 21، ج 4، ط 3، دار

الفكر، 1971.

22. محمد علي الطاهر، ذكرى الأمير شكيب أرسلان المراثي وحفلات التأبين وأقوال الجرائد،

القاهرة، 1947.

23. موسى سليمان، الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 1918-1908، ط 1، دار

المنهل اللبناني، بيروت، 2007.

24. ناصر الحكيم، جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان، ط 1، الدار التقدمية، لبنان،

2006.

باللغة الإنكليزية

1. William L. Cleveland, Islam Against The West Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism, First Edition, University of Texas Press, U.S.A, 1985.